النفحة الثلاثون: فرحة العيد السعيد

أيها المسلمـون:

هذا يوم جليل مبارك، يوم العيد السعيد، الذي يتجلَّى الحق سبحانه وتعالى فيه على المؤمنين بوافر الفضل، ومزيد الإنعام، يوم سعيد مجيد، يوم الجائزة، يوم المغفرة والرضوان، إنه عيد الصائمين المؤمنين الطائعين.

عيد جعله اللهُ ﷻ رمزاً لهذه الأمة، وتاجاً على رؤوس الصائمين الأخيار، ومصطلحاً فريداً يعبر عن عمق الرضى والسرور والحبور في قلوب المسلمين، خصه اللهُ بهذه الأمة، فللأمة الإسلامية في السنة عيدان، عيد الفطر وعيد الأضحى.

قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: **«ما هذان اليومان»؟**

قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول اللهِ ﷺ: **«إنَّ اللهَ** قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر»[1].

وهذه نعمة عظيمة، ومنَّة من اللهِ الجليل لهذه الأمة كبيرة، بأن أبدلها بيومي اللَّهو واللعب والغفلة والضياع خيراً منهما، إنهما يوما الشكر والذكر والفرحة والتقى، بالإضافة إلى يوم الجمعة الذي يعتبر عيداً أسبوعياً لأمة الإسلام.

طوبى لكم يا معاشر المسلمين:

ويا سعادتكم اليوم أيها الصائمون، لقد أمرتم بالصيام فصمتم، وندبتم إلى القيام فقمتم، وأطعتم ربكم، فاليوم تأخذون جوائزكم، قال الحبيب المصطفى

(1) الحاكم في المستدرك، 1/ 434، رقم: (1091)، وقال: هذا حديث صحيح.

ﷺ: «إذا كان يوم الفطر، وقفت الملائكة على أبواب الطرق، فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد: ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة»[1].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

إنه يوم الفرحة الكبرى، فرحة انتصار الطاعة على المعصية، والحسنة على السيئة، والخير على الشر.

إنه يوم فرحة تغلب الإيمان على الشيطان، والجود على البخل، والكرم على الشح.

إنه يوم فرحة أداء الصيام، وتمام القيام، وطاعة الرحمٰن.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن طاعته تزيد.

ليس العيد لمن تجمَّل باللباس والركوب، إنما العيد لمن غفرت له الذنوب.

دخل رجل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجده يأكل خبز شعير، فقال يا أمير المؤمنين: اليوم عيد وتأكل خبز شعير؟ فقال: يا هذا، اليوم لنا عيد، وغداً لنا عيد، وكل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد.

عيد مقيمٌ وعيد الناس منصرف ... والقلبُ مني عن اللذات منحرف
ولي قرينان مالي منهما خلفٌ ... طول الحنين وعينٌ دمعها يكف

وقال آخر:

سرور العيد قد عمَّ النواحي ... وحزني في ازدياد لا يبيد
فإن كنت اقترفت خلال سوء ... فعذري في الهوى أن لا أعود

(1) المعجم الكبير، 1/ 226، رقم: (617)، وغيره بسند ضعيف.

وقال ثالث:

ليس عيد المحب قصد المصلى وانتظار الأمير والسلطان
إنما العيد أن تكون لدى الحِبّ كريماً مقرباً في أمان

يـا مسلمـــون:

هذا يوم الفرحة بالفطر، ولذلك سمي عيد الفطر، يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه**»[1].

هنيئاً لمن صام وقام، وودع بالفضل رَمَضَانَ، فنال اليوم الفرحة من لدن الله الحنان.

لقد شرع لكم ربكم في هذا اليوم يا مسلمون صلاة العيد، وشرع لكم التكبير تعظيماً له ﷻ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: 185].

الله، الله، الله

الله هو سبحانه هدانا للإسلام، وشرح صدرنا للإيمان، وجعلنا من أتباع سيدنا محمد ﷺ رسول الأنام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المَائدة: 3].

أيها المسلمـــون:

إن الله تبارك وتعالى[2] إذا نظر إلى عبد نضَّر فؤاده، وجعله في عيد روحي، وسمو إنساني، لا يتذوقه إلّا من سمتْ نفسه بالتقوى والمعرفة اليقينية، وخلصت من شهوة المظاهر وغرورها، وهذا هو العيد الحقيقي عند المؤمنين الأبرار.

فليس العيد لمن تمتع بالشهوات، ولبس الجديد، وقلبه مظلم معلق بالباطل والزور، والبهتان والفجور، ليس العيد لخائن كذاب غشاش، مغتاب نمام، يمعى

(1) رواه البخاري، 2/ 673، رقم: (1805).

(2) المواهب السنية، ص384.

بين الناس بالأذى والفساد، وليس لمتكاسل مرتاب، لا يعمل لأمته، ولا لدينه، ولا لنفسه ولا ليوم الحساب.

ليس العيد لمن يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ليس العيد لمن طغى وبغى وأعرض وتكبر وآثر الحياة الدنيا، ليس العيد لمن عق والديه، وقطع أرحامه، فحرم الرضا والرحمة في هذا اليوم المبارك السعيد.

أيها المسلمون:

كيف يفرح بالعيد من هذه أوصافه وتلك آثامه؟

كيف يفرح بالعيد من بخل واستغنى وكذب بالحسنى؟ وظنّ أن الأمر هين سهل، ولم يدر أن ربه لبالمرصاد، كيف يهنأ بالعيد من استقام في رَمَضَانَ، وبعد انتهائه عدل عن الطريق القويم إلى الضلال المبين؟ كيف يفرح بالعيد من أضاع أمواله في الملاهي وبيوت الفسوق، ومنع حق الفقراء والضعفاء، ولا يخاف يوم النشور؟

أيها المسلم:

إذا كنت في رَمَضَانَ منيباً إلى ربك، تائباً من ذنبك، خائفاً من نقمة الله وعذابه، محافظاً على الصلوات في أوقاتها، حريصاً على شهود الجمعة والجماعات، مستعداً لقبول النصائح والعظات، مهذباً نقياً، متواضعاً تقياً، ذائقاً حلاوة الطاعة، فكيف تكون في العيد وبعده، أفتهدم ما بنيت؟ وتقوض ما شيدت؟ وتنضم إلى حزب الشيطان بعد أن كنت من حزب الرحمٰن؟ لا يا أخي: ما هذا شأن المؤمنين الصادقين، ولا هو شأنك لأنك درجت في رحاب رَمَضَانَ ونفحاته الحسان.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

هذا يوم صلة الأرحام، وزيارة الأقارب والخلان، والأصدقاء والأحباب، إنه يوم العفو والتسامح، تتصافى فيه القلوب، وتتصافح فيه الأيادي، وتزول الضغائن، وتنتهي الخلافات يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النِّساء: 1].

هذا يوم التكافل الإسلامي، والتضامن الأخوي، نتفقد فيه اليتامى والفقراء والأرامل والمساكين، ونمسح دموعهم، ونستر بجميل الثياب عوراتهم، وندخل البهجة والفرحة والسرور على بيوتهم ونفوسهم... نفرج همَّ المهموم، وكرب المكروب، ونواسي المصاب، ونعزي المبتلى، ونتبادل أبرك التهاني الطيبات، والتحيات والزيارات.

يقول النبي ﷺ: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، مَن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومَن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومَن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة»**[1].

هذا يوم إظهار شعائر الإسلام، والفرحة بصلاة العيد مع الأنام، ولذلك فيستحب أن يتناول المسلم قبل صلاة العيد بضع تمرات، حتى يمتثل أمر الحق سبحانه بالإفطار كما امتثله بالصيام، وأن نلبس الجديد من الثياب إظهاراً للفرحة بهذا العيد، وأن نأخذ من الطيْب الذي هو سنة الحبيب ﷺ، وأن نذهب إلى المصلى من طريق، ونرجع من طريق.

هذا يوم الأكل والشرب والفرحة والحبور، أباح لنا الطعام بعد الصيام: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: 32].

وخذوا من الزينة في إطار المعقول، لأن الله سبحانه جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده دون فخر ولا خيلاء.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

(1) رواه البخاري، 2/ 862، رقم: (2310).

أيها الأحبـــاب:

أذكركم بزكاة الفطر التي افترضها علينا الإسلام في شهر رَمَضَانَ، وسنَّ لكم أن تخرجوها قبل صلاة العيد، ولها أحكام تتعلق بها، يُرجع في ذلك لأهل العلم والفضل، وكتب الفقه، وفي صحيح البخاري، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة»[1].

فهي فريضة فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين وهي زكاة البدن، وطهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)[2].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

هذا يوم الوحدة الإسلامية، فلقد توحد المسلمون على الصيام، وتوحدوا على القيام، وتوحدوا اليوم على الإفطار، وتوحدوا جميعاً على كلمة الإسلام، ونداء الإيمان، حناجرهم تهتف: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر من كل كبير، الله أكبر من الطغاة المتغطرسين، الله أكبر من الظالمين المعتدين... إنه يوم يذكرنا بانتصارات أجدادنا، ووحدتهم وتكاتفهم في مواجهة الظلمة والطغاة، يذكرنا بمجدنا التليد، وحضارتنا العظيمة يوم سدنا العالم، وامتدَّ حكم الإسلام العادل إلى المشارق والمغارب.

واليوم أصبحنا شيعاً وأحزاباً: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون: 53]، وطننا الإسلامي الكبير تجزأ إلى دويلات وقرى متصارعة، والاستعمار الماكر لعب ولا يزال يلعب دوره النتن في تفريقنا، وبث سموم الشقاق في صفوفنا.

نذكر في يوم العيد تآمر الأمم علينا، واتحادهم جميعاً للنيل من شرف ديننا

(1) رواه البخاري، 2/ 547، رقم: (1432).

(2) رواه ابن ماجه، 1/ 585، رقم: (1827)، وأبو داود، 2/ 111، (1609)، وغيرهما.

ورسالتنا، ونحن ـ مع الأسف ـ في نوم وسبات عميقين... نذكر دولنا التي استعمرها الغزاة الوحشيون، فنهبوا، وسلبوا، وشردوا، وذبحوا، بكل همجية وتطرف وجنون... نذكر جراحنا في أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، كيف دنسه الصهاينة، وفرضوا قوتهم وجبروتهم وظلمهم على أهلنا العزّل هناك...

يا له من عيد يعود، والأقصى الجريح لا يعود...

عيد يعود وجراحنا لا تزال تتفتق من جديد...

عيد يعود وخلافاتنا لا تزال تزيد وتزيد...

وفي الختام، لكم مني وللأمة الإسلامية أفضل تحية وتهنئة بهذا العيد السعيد، ولكل من ذاد عن حياض الأمة ودافع عن حماها، واللَّهَ نسأل النصر والعز والتمكين والقبول إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أنِ الحمد للّه رب العالمين.